إنجيل متى ٢٢: ٣٤-٤٠

« أية وصية هي العظمى في الناموس؟ »

تأليف: تومي ساوث

« أما الفريسيون فلما سمعوا أنه أبكم الصدوقيين اجتمعوا معا، وسأله واحدا منهم وهو ناموسي ليجربه يامعلم أي وصية هي العظمى في الناموس؟ .... » (٢٢: ٣٤-٤٠).

هل لاحظتم إننا لدينا ميل في تبسيط الدين؟ بأختصاره إلى الأعمال الأساسية؟ لتقليصه إلى عمل رحمة واحد أو إلى قاعدة واحدة تجعل من كل شيء آخر ثانويا أو غير ضروري؟

على سبيل المثال، عندما تقدم الحاكم الشاب الغني من يسوع وسأله « يامعلم أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية؟ » (١٩: ١٦). يبدو أنه كان في ذهن ذلك الشاب تقليص دينه بعمل واحد عظيم جدا بحيث تكون له الحياة الأبدية. وتطرح هذه الأيام مثل الأفكار: « أحاول أن اكون جارا صالحا، أليس هذا هو كل ما تدور حوله المسيحية، على أي حال؟ »؛ « إني أعيش حياة صالحة وتقية وهذا هو المهم فعلا. »

في الأسبوع الأخير ليسوع في أورشليم سأل الفريسيون والصدوقيون يسوع العديد من الأسئلة، والذين كانوا يبحثون عن أرض يقفون عليها ليتهموا يسوع ويلقوا عليه الأيادي ويقتلوه. ويبدو إن المجموعتين كانتا تتناوبان بطرح الأسئلة لمحاولة الوصول إلى شيء ما يكون حجر عثرة ليسوع. وعندما تفشل أحدى المجموعتين في دورها تبدأ المجموعة الثانية عملها.

في متى ٢٢: ١٥-٢٢ تشاور الفريسيون « معاً كيف يمكنهم أن يصطادوه في كلمة. » فسألوه قائلين قل لنا ماذا تظن. أيجوز أن نعطي جزية لقيصر أم لا. لو كان جوابه لا، فيمكن إدانته بالخيانة العظمى من قبل الرومان. وإن قال نعم فإنه سيفقد محبته من قبل الناس الذين كانوا يكرهون ظلم الروم في فرض الجزية. تجنب يسوع فخهم هذا قائلا أروني عملة الجزية التي كانت عليها صورة قيصر وقال « أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » (٢٢: ٢١). « فلما سمعوا هذا تعجبوا وتركوه ومضوا. »

جاء الآن دور الصدوقيون (٢٢: ٢٣-٣٣). لقد أقترحوا حالة فرضية مضحكة وسخيفة عن سبعة إخوة تزوج كل منهم بأمراة واحدة ومات كل منهم وتركوها أرملة. وكان سؤآلهم هو هذا: « ففي القيامة لمن من السبعة تكون زوجة؟ لأنها كانت للجميع. » إنهم بالتأكيد خذلوا عندما أشار عليهم يسوع بأنهم كانوا قدتجاهلوا كلا من الأسفار المقدسة وقدرة الله: « لأنهم في القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونوا كملائكة الله في السماء » (٢٢: ٣٠).

وكانت مذلة الصدوقيون هذه بمثابة إشارة للفريسيين بان يحاولوا (٢٢: ٣٤ ، ٣٥). وكان سؤآل أحدهم له هو « يامعلم أي وصية هي العظمى في الناموس؟ » وهنا قضية أخرى في التجربة لتقليل الإيمان إلى مبدأ واحد من المبادئ. هل يمكن لناموس موسى أن يقلص بهذا الشكل؟ لاحظ أن السؤال كانت فيه نية معادية « لتجربته » (٢٢: ٣٥). وهذا يعتمد على الطريقه التي يجيب بها يسوع، يمكنه أن يتهم بإهمال شيئا مهما، لأنه ليس من المعقول أن يكون جوابه مطابقاً لأفكار مستمعيه عن هذا السؤال.

جوابه البسيط

وكان جواب يسوع به شيء من البساطة والتعقيد في الوقت نفسه. وقال بما معناه «نعم هناك وصية هي الأعظم. ولكن في الحقيقة هناك وصيتين لهما نفس الوزن.»

> قال له يسوع تحب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك. هذه هي الوصية الأولى والعظمى. والثانية مثلها. تحب قريبك كنفسك. بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء.

وصية محبة الله موجودة في سفر التثنية ٦: ٥، المعروفة بأسم (شيما) وهي مقولة الإيمان اليهودي التي يتلوها جميع اليهود الذكور كل صباح وكل مساء. أشار إلى هذه كأعظم وصية وأول وصية وهي ربما تسيطر على القلة من مستمعين يسوع. ما الشيء الفريد في جواب يسوع على سؤال الفريسي هو الجمع بين (الشيما) وسفر اللاويين ١٩: ١٨، «... تحب قريبك كنفسك» وأعلان يسوع أن كلا من الوصيتين متساويتين في الأهمية. «الثانية مثلها» لم يقترح لهم أن الثانية هي ثانوية بالنسبة لسابقتها، ولكنهما بنفس الدرجة من الأهمية ولا يمكن فصل الأثنتين عن بعضهما. لا يمكن للشخص أن يحب الله فعلا بدون أن يحب قريبه. الشيء نفسه لا يمكن للشخص أن يحب قريبه حقا بعيدا عن محبة الله. أعطتنا رسالة يوحنا الأولى مثالا جيدا على هذا المبدأ في ٣: ١٧ «وأما من كان له معيشة العالم ونظر أخاه محتاجا وأغلق أحشاءه عنه فكيف تثبت محبة الله فيه؟» لأن الله أحب قريبي كما أحبني لا يمكن أرتكاب الخطية تجاهه أو إهمال قريبي دون الإساءة إلى الله.

ثم أضاف يسوع جملة شاملة لإعلانه عن «الوصية العظمى»: «بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء» كلمة يتعلق هي كلمة يستعملها اليهود للأعلان عن شيءيستنتج من شيء آخر. الفكرة هي أن الباب الذي بفصالتين: سوف لن يفتح لو فقدت أحدى الفصالتين. قال يسوع أن جميع رؤيا الله في العهد القديم أستخلصت من الوصيتين هي أن تحب الله وتحب قريبك. بقية الناموس والأنبياء جميعها تعبر عن هذين المبدأين العظيمين.

ما كان صحيحا في الناموس هو بنفس الدرجة من الصحة في المسيح أيضاً: «الوصية العظمى» هي أن نحب الله ونحب قريبنا.

جوابه المعقد

ولكن هذا المبدأ ليس دائما بالبساطة التي يبدو عليها. للقول أن جميع رؤيا الله تستند على محبة الله ومحبة القريب لا يعني «أن يكون لنا أحساس صحيح تجاه الله وتجاه قريبنا» قبل أكثر من عقدين من الزمن عرف أحد الفلاسفة «حالة الأخلاق» بدأ بالحديث عن أميركا ومبادئها الأساسية وهي أن على الشخص أن يعمل دائما «أشياء ودية تجاه الآخرين في أي حال من الأحوال». يبدو لأول وهلة صلاحية هذا. ولكن ما يقال هنا إنه هناك صحيح مطلق أو خطأ مطلق، ليس هناك قوانين وليست هناك وصايا تنطبق بالتساوي على كل شخص في كل الظروف. قيل أن الناس يمكنهم أن يبنوا أخلاقهم ليتلائموا مع الحالة ويعملوا الأعمال المحببة. يحاول الكثيرين الأدعاء أن هذا هو تعليم يسوع مستندين على كلماته في متى ٢٢: كل ما نحتاج إليه هو أن نحب الله ونحب قريبنا. وهذا صحيح إلى درجة أن الّشخص أدرك ما تم قوله. ولكن أن نأخذ حديث يسوع فقط من ناحية إحساسنا عن الله وعن بقية الناس هو سوء فهم عظيم لكلماته. مثل هذه الفكرة تنوي أن تقلص المسيحية إلى درجة الأحساس وتمحي كل إلتزام آخر عدى «الشعور» بطريقة معينة. إنها تهمل حقيقة أن محبة الله ومحبة القريب لا تشمل على الأحساس فقط، بل على المشيئة أيضاً. تعني أن نقوم بالعمل الصحيح تجاههم.

هذا الفكرة تتقوى أكثر بملاحظة ما قاله يسوع عن محبة الله «من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك» (٢٢: ٣٧). والآية التي بنفس المعنى في (مرقس ١٢: ٣٠) «تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك

ومن كل قدرتك». كلاهما إنعكاس لسفر التثنية ٦: ٥، التي تقول أحب الله «بكل قلبك وبكل نفسك وبكل قدرتك.»

ماذا يعني هذا ولماذا لم تتفق المقاطع مع ما ورد في إنجيلي متى ومرقس تماما؟ أولا يجب أن نعرف إنه ليس هناك تمييز واضح بين الكلمات «قلب» و«عقل» و«نفس». هذه لا تمثل «أجزاء» من الإنسان ولكنها تمثل طرق مختلفة لتفكير الإنسان بعلاقته مع الله. أنهم يعطون إنطباعا جوهريا لطبيعة الإنسان والضروريات لولائه المطلق لله. الإختلاف في المقطعين يتصاعد في الحقيقة من أن يونانية العهد الجديد فيها مقاطع صعبة للتعبير عن الكلمة العبرية «ميود» هذه الكلمة هي في الحقيقة «ظرف» ولكنها تستعمل في بعض الحالات بصورة أساسية. إنها تعني بالأساس «بكثرة» أو ب «بوفرة» أو «بقوة» أنها تعبر عن حالة التفضيل العليا لدرجة التعهد لله. ما قاله يسوع في الحقيقة هو ليس «أن تشعر الشعور الصحيح تجاه الله» ولكن «محبة الله بكل ما أنت وما لديك – بعاطفتك ومشيئتك وبكل ما تملك – كل شيء!»

لاحظ ماقال يسوع «حب قريبك كنفسك». النزعة الطبيعية هي التركيز على النفس «التطلع على المرتبة الأولى». إهتمامنا الأول هو أنفسنا! طلب منا يسوع أن نستبدل تلك النزعة بالتركيز على الآخرين وخدمة الآخرين. ليس هناك خطأ في محبتك لنفسك، ولكن يقول لنا يسوع أن نحب قريبنا كما نحب أنفسنا. لا نضحي بمصلحتهم من أجل مصلحتنا، ولكن نأخذ في الأعتبار حاجة ورغبة قريبنا بنفس مستوى حاجاتنا. «حب قريبك» ليس مجرد أن نتمنى له الصلاح ولكن أن نعمل له الصلاح!

الخلاصة

هل يمكنك أن تقلص المسيحية إلى مبدأ واحد يحتوي جميع المبادئ؟ نعم، ولكن ذلك ليس بالسهل. قد تقضي كل حياتك وأنت تقيس عمقه ولكن لن تصله: قدم نفسك مائة بالمائة لله في التعهد والطاعة والخدمة. لا تترك أي شيء. المبدأ الثاني هو مثل هذا: عبر عن محبتك لله بمحبة قريبك والعيش للآخرين بدلا من العيش لنفسك فقط. «على هاتين الوصيتين يعتمد الناموس كله والأنبياء.»

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧